7 أيلول 2024 12:00ص

من السجن العثماني إلى سجن الرمل.. تأمين المطلوب لتمكين سجين من الهروب


عبد اللطيف فاخوري



واتخذت في بنائه الإحتياطات كافة التي تتوافق مع شعار حقوق الإنسان – كذا – من جهة ومع ضمانات عدم هروب السجناء إحقاقاً للحق وإيقاعاً للعدالة ففي القصاص حياة لأولى الألباب، ومع ذلك إكتشف هروب لثلاثة موقوفين من سجن رومية منذ سنوات. وكان سلفه سجن الرمل قد شهد أثناء الانتداب الفرنسي حادثة هروب تحدثت بها الركبان، كما عرف سلف سلفه السجن العثماني محاولات مماثلة.

شروط نجاح الهروب من السجن

في الأمثال وقياساً على ما يُقال من أن لكل جواد كبوة ولكل سيف نبوة، فإن لكل سجن نفق أو ثغرة مهما ارتفعت أسواره وتنوّعت احتياطاته، يتمكّن السجين من خلالها من الهرب. وليس من الضرورة أن تحصل الثغرة في أسوار السجن السميكة، بل غالباً ما تكون في ضمير مسؤولي السجن أو العاملين فيه وسلوكهم، وقد تنتج عن تعاطف مع المسجون أو عن ثغرة في الجيوب الخاوية أو من باب تقليد حراس السجن لما يحصل في إدارات ومواقع أخرى؟

وحوادث هروب السجناء من أشدّ السجون حصانة مشهورة، رُوي بعضها في الأفلام كالهروب من سجن الكاتراز الأميركي المشهور المبني وسط جزيرة، وما رواه الكسندر دوماس عن هروب ما عُرف بأمير الانتقام.

ونجاح الهروب معلّق على التعاون بين من في داخل السجن ومن في خارجه. وهو أيضاً بحاجة الى حسن تخطيط ووفرة مال وتعاون من حراس السجن. وإذا كانت حادثة هروب الموقوفين الثلاثة من سجن رومية قد هزّت السلطة فقد عرفت السجون في بيروت عدة حادثة هروب شهيرة اهتزت لها أركان المفوضية الفرنسية أثناء الإنتداب الفرنسي.

لم يكن السجن معروفاً في عهد الرسول ولا في عهد أبي بكر وإنما كان المتهم يُحبس في المسجد يلازمه خصمه أو نائب عن خصمه لئلا يحاول الفرار. وكانت الغاية من ذلك منع الاختلاط بغيره. وإن أصاب المتهم حدّاً من حدود الله أقيم عليه فوراً دون إبطاء. وقد أصبح السجن حبساً للمجرمين في عهد عمر بن الخطاب، ثم تعددت السجون وتنوّعت أساليب العقاب. بحيث طغى مبدأ العقاب على مبدأ الإصلاح.

السجن في السراي الصغير

خصصت الطبقة الأرضية من السراي الحكومي الصغير في ساحة البرج ببيروت لحبس الموقوفين والمحكومين. وكان مجلس الإدارة قد قرّر سنة 1879م وجوب أخذ مصاريف الحبس من الدائن عن المدين وحدّد ذلك بثلاثة غروش عن كل يوم وذاك مدة حبسه. وكانت توضع القيود في أرجل المتهمين بجرائم القتل.
ومع تراخي المراقبة تبيّن سنة 1887م أن ثلاثة أشقياء لم يفعل الحبس في بيروت فعله في النفوس، فكان أصحابهم وأقاربهم يحضرون إليهم ويحضرون لهم ما يلزمهم من مأكل ومشرب، فيمرحون في الحبس ويشطحون غير هيّابين ولا وجلين فتمّ بناء لقرار الوالي إبعادهم إلى دمشق. ولما ضاق سجن السراي عن الاستيعاب رسمت سنة 1894م خريطة لإنشاء سجن جديد خارج السراي واقترح أن يكون الموقع بجوار ثكنة العساكر الفرسان في جهة الحرج، وتمّت مخابرة نسيب بك جنبلاط فتبرّع بقطعة أرض مساحتها ثلاثة آلاف ذراع كما كان قد تبرّع قبل ذلك بأرض ثكنة العساكر. إلّا ان والي بيروت عاد واستحسن إنشاء السجن في قطعة أرض يملكها «الخواجات» رعد وهاني (أصحاب سوق الصاغة القديم) التي كانت محاذية لسراي الحكومة من جهة الشمال الشرقي.

أصناف الطيبات ويتنعّم بأنواع الحلويات وينام على أنعم المفروشات ويشبع المودّع ويستقبل من هو آتٍ؟ وأي متشرّد يعلم أن سجن بيروت هو مقر للملاهي من عود وقيثارة وملعب لإحياء الليالي بالرقص والغناء واللهو والطرب؟ فلا يسطو ولا ينسلّ إلى البيوت ويتعدّى على هذا ويطعن ذاك؟ ويضيف التقرير بأن حراس دار الحكومة عالمون بما كان يجري تحت جنح الظلام من الذهاب والإياب والخروج والدخول، وهم صامتون ساكتون مقابل رشوة تكمّ الأفواه. ويخلص إلى أن سجن بيروت كان مثلاً مضروباً للراحة والرفاه (خمس نجوم بلغة العصر) مع أن حبس ساعة مع الشدّة والتضييق أشدّ على الشقيّ من حبس سنوات مع أسباب التنعّم والراحة.

ومن الطريف أن نشير إلى أن إدارة سجن بيروت عزمت سنة 1913م على إزالة الفواصل بين المسجونين، فقد كان السجن مقسوماً إلى أقسام مستقلة مراعاة لمذاهب السجناء الخاصة. وكان المدعي العام قد كلّف مدير السجن بنقل الموقوفين بالجرائم الجنائية من المسلمين والمسيحيين ليكونوا معاً في السجنين الواقعين شرقي وغربي سراي الحكومة. إلّا أن المدير رأى أن طلب المدعي العام قد يأتي بعواقب غير مشكورة بين أشقياء الطائفتين المسجونين كما حصل في مرحلة سابقة، فامتنع عن إزالة الفواصل. يُشار إلى أن مدير سجون ولاية بيروت أمين فاخوري نفّذ سنة 1913م مشروعه بتشغيل المسجونين كل بحرفته فجاء بنتيجة مفيدة.

اتهام علي شفيق بقتل القهوجي والحكم عليه بالإعدام شنقاً

ولما كان كل مسجون يبدأ لحظة دخوله السجن بالتفكير بكيفية الخروج أو الهروب منه، فقد حصل سنة 1896م أن جاء إلى سجن بيروت بلباس البادية أي عباءة وعقال ولثام زائراً شقيقه إبراهيم العيتاني المحكوم بالحبس خمسة عشر عاماً، فتبادلا الملابس وخرج إبراهيم ثم تبعه شقيقه إلّا أن الحراس تنبّهوا للأمر فأُعيد القبض على المحكوم وأوقف شقيقه.

خلال شهر تموز 1928م تبلّغت الشرطة خبر إنقطاع أي أثر لخضر القهوجي وتمكّن أسعد البستاني رئيس القسم العدلي من إستدراج أحد المتهمين الذي أقرّ بتفاصيل مقتل القهوجي وأسماء الجناة وكان من بين هؤلاء المدعو علي شفيق شوقي المشهور بعلي شفيق. وتبيّن أن القهوجي كان قد قتل أحد الأشخاص فحُكم عليه بأقل من سنة فقط. وساء هذ الحكم أهل القتيل وطفقوا يتحيّنون الفرص للثأر من القاتل (إن الأحكام المخففة تؤدي الى جرائم ثأرية) حتى تدبروا من يقوم بذلك لقاء مائتي ليرة ذهبية عثمانية، فاستدرج القهوجي في سيارة الى مستودع للكهرباء (كان في كهرباء) قرب مقبرة الباشورة في الخندق الغميق وهناك أطلق علي شفيق عليه رصاصة قاتلة في صدغه ثم حملت جثته الى بئر حسن حيث كان المرمح القديم فألقيت في بئر وعاد لقبض المكافأة. أحيل علي شفيق ورفاقه الى المجلس العدلي بالمرسوم 3965 تاريخ 22/10/1928 فاعترفوا بجريمتهم ومثّلوها بحضور الفرنسي دايس مدعي عام المجلس العدلي ويوسف شربل المحقق المكلف فيها وأسعد البستاني رئيس القسم العدلي. وحكم على علي شفيق بالإعدام شنقاً وبالسجن على آخرين ورُكّبت المشنقة وحُدّد موعد التنفيذ.

وكان لعلي أخ هو محامٍ مشهور يدعى رامز شوقي تربطه علاقات صداقة بأشخاص نافذين في السلطة وببعض قبضايات بيروت وكان رامز يمارس المحاماة في مكتبه بالشارع الجديد (الفشخة سابقاً وشارع ويغان لاحقاً) ويذكر من تدرّج في مكتبه بلوحة معلّقة في حائطه ناطقة «من خدم الناس مجاناً إتهموه بالخيانة» وكان رامز ينصح المتدرّجين معه بعدم قبول الوكالة عن إثنين: المرأة وفاضي الأشغال، فالمرأة لا تعرف ماذا تريد وفاضي الأشغال بيشتغل فيك. وكلّف رامز شوقي صديقه سعد الدين القيسي أشهر قبضايات رأس النبع بالتوسط لدى رئيس مجلس النواب في حينه الشيخ محمد الجسر للتخفيف من العقوبة فلم يجد لديه آذاناً صاغية. وهنا وضع سعد الدين خطة ذكية لتهريب شقيق صديقه، فطلب من الشيخ الجسر أن يعيّنه مديراً لسجن الرمل حيث يحتجز علي شفيق ليعمل على تهريبه فتمّ له ذلك. وبالفعل بعد هروب علي استقال سعد الدين من الوظيفة المذكورة وقيل أن تهريب السجين كلّفه أكثر من ألف ليرة ذهبية.

وفي صباح الأربعاء 30 كانون الثاني 1929م استفاق حراس سجن الرمل وتفقّدوا غرفة علي شوقي فوجدوا الباب الخارجي والباب الداخلي للزنزانة التي سُجن فيها مفتوحين ولا أثر فيها للسجين إلّا من كتاب تركه بعد هربه يقول فيه أنه تمكن بوسائط سرية من الحصول على مفتاح خاص فتح به أقفال سجنه وهرب، قاصداً بذلك نفي تبعة هروبه عن السجانين والحراس. وفور شيوع الخبر توجه أفيليه رئيس المجلس العدلي ودايس المدعي العام ووزير الداخلية الى سجن الرمل وتفقّدوا غرفة السجين وبحثوا كيفية فتح الأقفال فيما قام مفتش الدرك بوفان والقومندان الشيخ خليل الخازن بالتحقيق مع رجال الدرك وصدر الأمر بتوقيف حارسين في السجن.

وبثت السلطة الأخبار والعيون في سوريا ولبنان وعلى المنافذ التي يمكن أن ينفذ منها الهارب الى خارج البلاد المشمولة بالإنتداب الفرنسي وأصدر رئيس الجمهورية مرسوماً بإحالة هرب السجين ومن سهّل هروبه ومن آواه الى المجلس

السجن ورئيس الحراس وغيرهم الى الإستيداع وكلف القومسير سامي العازار بإدارة السجن مؤقتاً.

وانعقد المجلس العدلي برئاسة الفرنسي باتي وعضوية الفرد ثابت ونديم الجسر والفرنسيين لانوه وديبان، فأفاد حارس السجن بانه كان قد وجد مفتاحاً أمام الدكان خارج السجن فأعطاه لمدير السجن وأنه قبل أن يذهب لبيته كلمه علي شوقي وقال له: أنتم تخرجون وتسرحون وتمرحون ونحن هنا مقيّدون بالسلاسل؟ ثم أعطاه علي ساعة وكلّفه أن يوصلها الى أحد أشقائه، كما أفاد بأن عادل أخبره في اليوم التالي بكيفية هروب علي بأن صاحب الدكان اتفق مع السجان ففتح له الباب. وقد تولّى المحامي يوسف السودا الدفاع عن المحامي رامز شوقي فيما تولّى المحامي هنري جلخ الدفاع عن شقيقه عادل والمحامي جورج شيكاريدس الدفاع عن شقيقه عبد القادر. وحُكم على حارسي السجن بالسجن ثلاثين شهراً وعلى رامز وعادل شوقي بالسجن سنة ونصف.

أما السجين الفار فقد لجأ الى محلة رأس النبع وأقام في منزل أحد أقرباء سعد الدين القيسي لأكثر من شهرين وكان إذا اضطر الى التنقّل ارتدى عباءة نسائية. وكان في تلك الفترة يكتب رسائل موجهة الى شقيقه رامز فيرسلها سعد الدين مع معارفه الى فلسطين والأردن وسورية كي يبعثوها الى لبنان لخداع وتضليل سلطات الأمن الفرنسي. وكان سعد الدين صديقاً لمدير الشرطة وكانا يتنزهان بسيارة المدير نحو الحدود الجنوبية وكان سعد الدين يستأذن المدير بإيصال نساء فقيرات بالسيارة الى الجنوب. وذات يوم وضع علي شوقي الحمرة والبودرة على وجهه وشفتيه وارتدى فستاناً ووضع البرلين pelerine على رأسه والفيشة على وجهه، وركب في سيارة المدير وسط شقيقتيه المحجبتين أيضاً وتوجه الى الناقورة ومنها سيراً الى فلسطين ومنها سافر إلى السعودية. وعاش في السعودية مع البدو عشرين عاماً اسمرّت فيها ملامحه وغلبت لهجة البدو على كلامه. وبعدما سقطت العقوبة بمرور الزمن عاد بعد عشرين عاماً الى رأس النبع وافتتح محلاً في شــارع عمر بن الخطاب قرب منزل النائب السابق نسيم مجدلاني.

*** مؤرخ**



أخبار ذات صلة

مجلس الإفتاء الفلسطيني يحذّر من قرار يسمح بنهب الأراضي

21 أيار 2025

مجلس الإفتاء الفلسطيني يحذّر من قرار يسمح بنهب الأراضي

الحجّ عمن مات من غير ماله

21 أيار 2025

الحجّ عمن مات من غير ماله

مواقيت الصلاة

21 أيار 2025

مواقيت الصلاة

الأكثر قراءة

1 بريطانيا تعلق المفاوضات مع إسرائيل: الوضع في غزة لا يطاق

2 دور لبنان في مشروع الشرق الأوسط الجديد

4 من إعلام العدو: الأقدام في غزة والعيون نحو الدوحة

5 هذا ما يحمله الرئيس عباس للبنان في زيارته إلى بيروت اليوم!

6 أسس وضوابط العدالة الانتقالية التي تحتاجها سوريا الجديدة

7 لا أقلية ولا أكثرية بل هوية وطنية!

8 بقاء الاحتلال للضغط لإكمال نزع السلاح والتفاوض عبر اللجان الثلاث

9 هل تؤسس زيارة عباس اليوم لمرحلة جديدة في ملف السلاح الفلسطيني داخل المخيمات؟

10 «روحوا شبعوا حالكون»..!



أحدث المقالات

دور لبنان في مشروع الشرق الأوسط الجديد

هل تؤسس زيارة عباس اليوم لمرحلة جديدة في ملف السلاح الفلسطيني داخل المخيمات؟

هذا ما يحمله الرئيس عباس للبنان في زيارته إلى بيروت اليوم!

مواقع التواصل الاجتماعي



الرئيسية سياسة الخصوصية اتصل بنا